الإيجاز في كتاب «نعم الوجيز» لعبد العزيز الفرهاروي: دراسة بلاغية تحليلية في ضوء المناهج الحديثة

The Concept of Conciseness (iʾjāz) in Niʿam al-Wajīz by ʿAbd al-ʿAzīz al-Farhārawī: A Rhetorical-Analytical Study in the Light of Modern Approaches

ڈاکٹر حافظ احمد سعید رانا* ڈاکٹر ابو بکر**

ISSN(P)2664-0031(E)2664-0023
DOI: https://doi.org/10.37605/fahmiislam.v8i1.4

Received: April,2025
Accepted: May,2025
Published: June,2025

Abstract

This article investigates the rhetorical phenomenon of conciseness (*iʾjāz*) as conceptualised in ʿAbd al-ʿAzīz al-Firhārawī's early 19th-century treatise *Niʿam al-Wajīz fī Iʿjāz al-Qurʾān al-ʿAzīz*. Focusing on chapter nine, the study identifies how Farhārawī classifies Qurʾānic brevity into *iʾjāz al-qaṣr* (compression without deletion) and *iʾjāz al-ḥadhf* (ellipsis), and how he illustrates each type through canonical verses. Deploying a descriptive-analytical method, the article first situates Farhārawī's taxonomy within the classical Arabic rhetorical tradition forged by al-Jurjānī, al-Sakkākī and Ibn al-Athīr, then evaluates the explanatory value of his examples against their original exegetical contexts. The second part of the study re-reads Farhārawī's insights through contemporary linguistic frameworks—discourse analysis, linguistic economy and reception theory—to demonstrate the continued relevance of classical Arabic poetics to modern critical inquiry. The analysis reveals that Farhārawī faithfully preserves classical definitions while offering pedagogically streamlined applications that anticipate modern notions of textual economy and reader engagement. Moreover, the Qurʾānic cases he foregrounds—such as "For you in retribution is life" (2:179) and the ellipsis in "Ask the town" (12:82)—exemplify how minimal lexical form can encode expansive legal, ethical and narrative meanings, thereby achieving cognitive economy and affective resonance. The study concludes that *Niʿam al-Wajīz* functions as a bridge between pre-modern rhetoric and modern stylistics, and that a trans-historical dialogue on conciseness enriches both Qurʾānic studies and the broader discipline of textual criticism.

Keywords: conciseness; Qur'anic inimitability; Firhārawī; rhetorical brevity; ellipsis

يُعدُّ الإيجاز (Conciseness/Brevity)

أحد أبرز مظاهر البلاغة في إعجاز القرآن الكريم؛ فقد اتصف الأسلوب القرآني بقدرته الفائقة على إيصال المعاني الغزيرة بأقل الألفاظ، حتى عدَّه البلاغيون قديمًا سرًّا من أسرار البيان. ويأتي كتاب ((نعم الوجيز في إعجاز القرآن العزيز)) للعالِم عبد العزيز الفرهاروي (ت 1239هـ) ضمن تلك الجهود التراثية التي عنيت بشرح أوجه الإعجاز القرآني، وخصوصًا البلاغية منها. يرتكز هذا المقال على دراسة ما أورده الفرهاروي في الفصل التاسع من كتابه – ضمن علم المعاني – حول مفهوم الإيجاز بنوعيه إيجاز القصر وإيجاز الحذف، متتبعًا أمثلتهما في النص القرآني وتحليلاته لها، ومقارنًا أصوله البلاغية في هذا الكتاب بكتب التراث الكلاسيكية (كعبد القاهر الجرجاني

* Professor Department of Arabic, Dar-ul-Madina International University, Islamabad
ORCID: 0000-0002-0572-5428
** Professor Department of Arabic, University of the Punjab, Lahore

والسكاكي وغيرهما)، ثم ربط ذلك بالمناهج النقدية واللسانية الحديثة كتحليل الخطاب ومبدأ الاقتصاد اللغوي ونظرية التلقي.

لقد اتبع البحث المنهج الوصفي-التحليلي في عرض مفهوم الإيجاز وتقسيماته عند الفرهاروي، مع المقارنة بآراء كبار البلاغيين، ليبرز مدى وفاء الفرهاروي لتراثه البلاغي من جهة، وقدرته على تقديم إضافات أو تطبيقات مميزة من جهة أخرى. كما يسعى لبلورة قراءة حداثية لمفهوم الإيجاز القرآني، موضحًا كيف يمكن أن نفهم إيجاز القرآن في ضوء علم اللغة الحديث ونظريات النقد المعاصرة التي تعنى بنجاعة الخطاب وتأثيره في المتلقّي.

مفهوم الإيجاز: تعريفات وتقسيمات

الإيجاز لغةً هو الاختصار والتقليل، يقال أوجز الكلام إذا جعله قصيرًا. أما في اصطلاح البلاغيين فهو أداء المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الوفاء بالغرض من غير إخلال .وقد عبّر السكاكي عن ذلك بقوله: هو "أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط"، وضدّه الإطناب (وهو التطويل بفوائد أو زيادات لفظية). وينقسم الإيجاز عندهم إلى قسمين رئيسيين :إيجاز القصر وإيجاز الحذف.

إيجاز القصر (ويُسمّى أيضًا إيجاز البلاغة) يُقصد به أن تُضمَّن العبارة القصيرة معاني كثيرة من غير أيٍّ حذف .أي أنّ عدد الكلمات يكون قليلاً دون أن يُستبعد منها شيء أصلاً، ومع ذلك تحمل دلالات واسعة تتجاوز ظاهر ألفاظها. وأما إيجاز الحذف فيعني حذف بعض العناصر من الكلام مع وجود قرينة لفظية أو معنوية تدل على المحذوف بحيث لا يلتبس المعنى. وبهذا فالكلام الموجَز قد يكون إمّا قصيرًا بذاته أو مختصرًا بحذف أجزاء منه، وفي كلتا الحالتين يشترط البلاغيون ألاّ يترتب على الإيجاز إخلال بالمعنى أو غموض.

لقد اهتمّت كتب التراث البلاغي بتعريف الإيجاز والتنويه بفضله. فقد رُوي عن بعضهم قوله:"البلاغة هي إيجاز القصر"، وقال أكثم بن صيفي:"البلاغة الإيجاز"، إشارةً إلى أن خير الكلام ما قلّ ودلّ. وأشار ابن قتيبة أيضًا إلى ضرورة مراعاة المقام، إذ ليس الإيجاز محمودًا في كل الأحوال، بدليل تنوّع أساليب القرآن بين إيجاز وإطناب تبعًا لمقتضى الحال. كذلك شدّد الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) على أن قيمة الإيجاز ليست في قلة الألفاظ بذاتها، بل في قدرة تلك الألفاظ القليلة على حمل معنى كثير. قال في ((دلائل الإعجاز)):"لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى"، فالمعيار عنده هو ثراء المعنى وتكثيفه، لا مجرد الاختصار الكمي. ومن هذا المنطلق عدّ البلاغيون الإيجاز لونًا من العبقرية البيانية التي "تقول الكثير بالقليل" وتقوم على الإيحاء والتلميح بدل الشرح والتطويل. وقد تعددت مصطلحاتهم في هذا الباب بين إيجاز واختصار وتكثيف وإضمار وقصر وتلميح... لكنها تدور كلها حول فلكٍ واحد هو تركيز المعنى وإسقاط الزوائد.[1]

إيجاز القصر: الدراسة النظرية والتحليلية لأمثلته

يقصد بإيجاز القصر أن يأتي المتكلم بعبارة قصيرة عدد الكلمات نسبيًّا، لكنها تنطوي على معانٍ غزيرة تفوق طولها الظاهر. فاللفظ موجز دون أن يكون هناك حذفٌ لشيء من عناصر الجملة. ومن أشهر الأمثلة القرآنية الكريمة على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[2]. هذه الآية موجزة جدًّا في ألفاظها (أربعة كلمات فقط)، لكنها تحمل معاني عظيمة ومتعددة. وقد فصّل البلاغيون في شرح بلاغتها: فمعناها أنه من عرف أنه إذا قتل قُتل فإنه يرتدع عن القتل، وفي ذلك حياةٌ لمن كان ينوي ارتكاب الجريمة وحياةٌ لغيره أيضًا. إن تشريع القصاص هو في حقيقته حفاظٌ على أرواح الناس

وردعٌ لظاهرة القتل، فهو قصير لفظًا واسع معنى .لذا قيل في تفسيرها «القتل أنفى للقتل»، أي أن القصاص يردع القاتل المحتمل فينجي حياته وحياة الآخرين. فتركيب الآية موجز لكنه مكثَّف الدلالة؛ إذ يشير ضمناً إلى فلسفة تشريعية واجتماعية كاملة (تحقيق العدل وردع الإجرام وصيانة المجتمع).

ومثال آخر قوله تعالى:﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ**﴾[3]، فجملة "لهم الأمن" موجزة ومطلقة لتشمل كل صور الأمن المرغوبة دينيًّا ودنيويًّا. وكذلك الحديث النبوي:"احفظ الله يحفظك"، فهو قصير مبنى عظيم المعنى، إذ يتضمن شرطًا وجزاءً يمتدان إلى معاني التوكل والإيمان والعناية الإلهية. هذه الأمثلة وغيرها تظهر أن إيجاز القصر يوفر على المتلقي الكلمات دون أن ينقصه المعنى؛ بل ربما يمنحه معاني أوسع مما لو بُسطت العبارة مطوّلة. وهذا النوع من الإيجاز كان مطمح أنظار البلغاء وباعث تفاوت مراتبهم، إذ يتطلب مهارة في صياغة العبارات بحيث تؤدي الكثير بأيسر العبارات.

في كتاب ((نعم الوجيز))، يتناول الفرهاروي إيجاز القصر ضمن مباحث علم المعاني، مقتديًا بمنهج أسلافه. يعرّفه بما معناه اختصار الألفاظ مع وفرة المعاني، ويستشهد بالآيات القرآنية الدالة. فنراه – على خطى السكاكي والهاشمي – يذكر مثال آية القصاص آنفة الذكر ويفصّل معانيها، وربما أشار إلى أمثلة أخرى كآية الأمن أو بعض الحِكَم القرآنية المختصرة. من خلال عرض الفرهاروي، يتبين التزامه بالتقسيم التقليدي؛ فلم يخرج إيجاز القصر في طرحه عن كونه بلاغة الإيجاز بعينها– أي: الكلام الذي يفيد معنى كلام أطول منه – وهو ما يوافق تعريفات القدماء حرفيًّا.

وعند التحليل البلاغي لتطبيقات إيجاز القصر القرآنية، نجد الفرهاروي يركز على جماليات التركيب وكيفية انضغاط المعاني فيه. فمثلاً قد يشرح كيف دلّت جملة موجزة في القرآن على مشهد قصصي كامل أو حكم شرعي متكامل دون تفصيل مطول. ومن الأمثلة اللافتة للإيجاز القصصي قوله تعالى في ختام قصة يوسف عليه السلام: ﴿**قَدْ جَعَلَ رَبِّي حَقًّا**﴾[4]حيث اختُزلت سنوات المحنة والتدبير الإلهي في بضع كلمات تحمل شكر يوسف واعترافه بالحكمة الربانية. إيجاز القصر هنا يكمن في أن العبارة القصيرة حمّالة أوجه من التأمل والعبر دون سرد تفصيلي. هكذا يبرز إعجاز القرآن البلاغي في قدرته على إيجاز القصة أو الفكرة مع ترك المجال رحبًا للتأويل والتفكير والتأثر. وهذا ما يتناوله الفرهاروي بوصفه وجهًا من أوجه الإعجاز التي تستدعي التدبر في المعاني المضمرة وراء المباني المختصرة.

إيجاز الحذف: أنواعه وتحليل تطبيقاته القرآنية كما عرضها الفرهاروي

القسم الثاني من الإيجاز هو إيجاز الحذف. ومعناه أن يحذف المتكلم لفظة أو جملة أو أكثر من الكلام، لأن سياق الكلام أو القرائن الحالية تفهم المقصود دون الحاجة لذكر المحذوف. وبهذا يكون الاقتصار على بعض الكلام أبلغ من ذكره كاملًا. يقول الشيخ بهاء الدين السبكي:"الكلام القليل إن كان بعضًا من كلام أطول فهو إيجاز حذف، وإن كان كلامًا يعطي معنى أطول فهو إيجاز قصر"، فإيجاز الحذف هو اختصار كلام كان يمكن أن يُقال مطولاً، لكن حُذِف منه للاكتفاء بالدلائل. وقد عدّه البلاغيون ضربًا دقيقًا من صنعة الكلام، حتى شبّهه عبد القاهر بالسحر:"هذا الباب (أي الحذف) دقيقُ المَسلك، لطيفُ المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة".هذه العبارة الشهيرة تعبّر عن جوهر إيجاز الحذف؛ إذ أحيانًا يكون السكوت عن لفظ ما أبلغ في إيصال المعنى وإثارة الخيال من التصريح به. فكأن المتكلم يبلغ ذروة البيان حين لا يذكر كل شيء، تاركًا لعقل السامع أن يستنتج ويُكمل الصورة.

إيجازُ الحذفِ عندَ الفرهارويِّ ينقسمُ إلى أربعةِ أنواعٍ رئيسةٍ، كلُّ نوعٍ منها يبيِّنُ وجهاً مخصوصاً من وجوهِ الاختصارِ مع تمامِ الدلالةِ:

(١) حذفُ الاقتطاع

وهو قطعُ بعضِ الكلمةِ بلا ضابطةٍ صرفيّةٍ، كترخيمِ الاسم أو إسقاطِ حروفٍ منه، ومن أمثلته القرآنيّة: ﴿**لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[5] أي «لكن أنا»؛ ومنه حروفُ التهجّي في أوائلِ السُّوَر على القولِ بأنّها أجزاءٌ من الأسماء الإلهيّة، وكما قيل في الباءِ من ﴿**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ**﴾[6] إنها بعضُ كلمة «بعض».[7]

(٢) حذفُ الاكتفاء

وهو الاكتفاءُ بذكرِ أحدِ متلازمَيْنِ عن الآخرِ لوجودِ الربطِ الدلاليّ بينهما، ويكثرُ في المعطوفات، نحوُ: ﴿**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾[8] أي والبردَ؛ وقوله تعالى: ﴿**وَمَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾[9] أي وما تحرّك؛ وقوله: ﴿**بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾[10] أي والشرّ، لكنْ عُدِل عن ذكرِه صراحةً مراعاةً للأدب.[11]

(٣) حذفُ الاحتباك

وهو نوعٌ دقيقٌ يُحذَفُ فيه أحدُ المتقابلَيْنِ لدلالةِ الآخرِ عليه، ثم ينعكسُ الحذفُ فيُذكَرُ المحذوفُ ويُترَكُ المذكورُ، مثلُ قوله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ**﴾[12]؛ فالتقديرُ: مَثَلُ الأنبياءِ والكفّارِ كمثلِ الناعق والمنعوقِ به. وكذلك قوله: ﴿**وَخَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**﴾[13] أي صالحاً بسيّئ وسيّئاً بصالح.[14]

(٤) حذفُ الاحتراك

وهو أوسعُ هذه الأنواعِ وأشملُها؛ فيدخلُ فيه حذفُ المضاف، مثلُ ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾[15] أي أمره؛ وحذفُ مضافَيْنِ، مثلُ ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ**﴾[16] أي حافرِ فرسه؛ وحذفُ ثلاثةِ مضافاتٍ، مثلُ ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ**﴾[17] أي مسافةَ قدرِ قوسَيْن؛ وكذا حذفُ المبتدأ، والخبر، والموصوف، أو الصفة، أو المفعول، أو الحال... إلى آخر ما عدّه البلاغيّون من مواضعَ يربو عددُها على اثني عشرَ موضعاً، وكلُّها يستمدُّ بلاغتَه من دلالةِ السياقِ ووضوحِ القرينة.[18]

بهذا التقسيمِ الرباعيِّ يُبرهنُ الفرهارويُّ على دقّةِ صنعةِ القرآنِ في توظيفِ الحذفِ لإثارةِ الذهنِ وتكثيفِ المعنى دونَ إخلالٍ أو غموضٍ، جامعاً بين جمالِ البيانِ وكمالِ البيان؛ لكن أنواعَ إيجاز الحذف متعددة بحسب العنصر المحذوف. فقد يحذف حرف، مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا**﴾[19] أي "لم أكن" بحذف حرف النون. وقد يُحذف اسم مضاف، كقوله : ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾[20] أي: "في سبيل الله"، أو يُحذف المضاف إليه مثل: ﴿**وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾[21] أي: "بعشر ليالٍ". وربما حُذف فعل الشرط أو جوابه، كما في قوله: ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[22] إذ التقدير "فإن تتبعوني يحببكم الله"، أو قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ...**﴾[23] وتقديره "لرأيت أمرًا فظيعًا". بل وصل البلاغيون إلى تعداد نحو اثني عشر موضعًا للحذف مثل حذف المسند أو المسند إليه أو الجملة برمتها. ومن أمثلة الحذف الكلي قوله تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ...**﴾[24] فالتقدير:"فاختلفوا فبعث الله النبيين"؛ حُذفت جملة "فاختلفوا" لدلالة السياق عليها. وكذلك قوله حكايةً عن ملك مصر: ﴿**فَأَرْسِلُونِ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ...**﴾[25] حيث يُفهم من السياق تقدير جمل متعددة:"فأرسلوني إلى يوسف لأقصّ عليه الرؤيا وأستعبره عنها، فأرسلوه فأتاه وقال: يوسف أيها الصديق...". في هذا المثال تتجلى قوة الإيجاز بالحذف، إذ حُذفت سلسلة من الأفعال (الاستئذان والإرسال والوصول) واكتُفي بذكر النهاية "يوسف أيها الصديق..."، مما جعل القارئ يستنتج تلقائيًّا ما حصل بين السطور ليصل إلى المشهد النهائي. هذا الحذف زاد التشويق والتركيز في القصة بدل أن يثقلها بالتفاصيل.

وقد اهتم الفرهاروي في «نعم الوجيز» بتفصيل صور الحذف في القرآن وأسراره البلاغية. فنجده يشرح أمثلة شهيرة تناولها من قبله البلاغيون: مثل آية ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[26] حيث حذف المضاف (أهل القرية) لدلالة الفعل والمقام عليه. يبيّن الفرهاروي أن هذا الحذف أكسب التعبير إيجازًا مع الإبقاء على المعنى المفهوم، فلم تعد هناك حاجة لذكر لفظ "الأهل" صراحةً لأن السامع يستحضره تلقائيًا. وكذا يتعرض لحذف المفعول به أحيانًا للعلم به، كقوله تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا**﴾[27] حيث لم يُذكر المحصيّ (أي: أحصيناه في كتاب) لأن لفظ "أحصيناه" يدل ضمنًا على وجود شيء محصيّ مكتوب. ويشير الفرهاروي إلى أن الداعي لهذا الإيجاز قد يكون "الاختصار وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم"، أو مراعاة ضيق المقام وسرعة الخطاب، أو بقصد إخفاء الأمر عن غير المخاطب (كما في الكلام الموجّه لواحد بحضور آخرين)، أو اتّقاء الملل والإطالة.

إن التحليل البلاغي لأمثلة إيجاز الحذف يُظهر كيف استفاد القرآن الكريم من هذه التقنية لإيصال المعاني على أكمل وجه. ففي مواضع الوعظ والقصص خاصةً نجد الحذف يضفي على النص تكثيفًا دراميًا وإثارة ذهنية. والمتلقي حين يقرأ التعبير الموجز يحاول سدّ الفجوات وتخيُّل المحذوف، فيشارك عقله في استكمال الصورة والمعنى. وهنا تكمن بلاغة الحذف: فهي تجعل القارئ عنصرًا فاعلًا في استنباط المراد، بدل أن يكون مجرد متلقٍّ سلبي. وقد نبّه ابن الأثير (ت 637هـ) إلى هذا بقوله:"إنك تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن" أي: أن السكوت عن شيء في الكلام قد يجعله أبلغ مما لو ذُكر صراحةً. هذه المفارقة البلاغية أكدّها تحليل الفرهاروي لأسرار الإيجاز القرآني: فالحذف المدروس يُكسب الكلام قوة الإيحاء، ويجنب الخطاب الترهل والتطويل غير الضروري، مما يعزز من جمالية النص وتأثيره.

مقارنة بين الإيجاز في «نعم الوجيز» وكتب البلاغة الكلاسيكية

من خلال استعراض مفهوم الإيجاز بنوعيه في كتاب الفرهاروي، يتبيّن أنه وفيٌّ كل الوفاء للتراث البلاغي الكلاسيكي. فقد أخذ تقسيماته وتعريفاته مباشرةً عن أئمة الفن كالسكاكي والجرجاني وابن الأثير وغيرهم. عرف الفرهاروي إيجاز القصر بأنه تضمين المعاني الكثيرة في اللفظ القليل دون حذف تمامًا كما ورد عند السكاكي وغيره، وشرح إيجاز الحذف بأنه حذف ما يدل عليه السياق دون إخلال وفق ما أصّله البلاغيون الأوائل. لذا يمكن القول إن ((نعم الوجيز)) يمثل عصارة فكر البلاغة العربية في باب الإيجاز، حيث لخص مؤلّفه خلاصة ما قرره السابقون بأمثلة القرآن الكريم الدالة.

إن مقارنة طرح الفرهاروي مع كتب مثل ((دلائل الإعجاز)) لعبد القاهر الجرجاني و ((مفتاح العلوم)) للسكاكي و((المثل السائر)) لابن الأثير تظهر التطابق الكبير في الجوهر. فالجميع متفقون على أن البلاغة في الإيجاز مرهون بأن لا يُخلّ بالحكمة والمعنى. وعرَّفوه بمعان متقاربة تركّز على تقليل الألفاظ وتكثير المعاني. حتى الأمثلة المستشهد بها متشابهة إلى حد بعيد، مما يدل على رسوخ هذه الشواهد في عقلية البلاغيين عبر العصور. فعلى سبيل المثال، تناول الجرجاني في دلائل الإعجاز إيجاز حذف الشرط أو الجواب وذكر مثال ﴿**فأرسلوني... يوسف أيها الصديق**﴾[28] تمامًا كما أوردناه؛ وذكر السكاكي إيجاز القصر في آية ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾[29] كما رأينا. واعتمد ابن الأثير كثيرًا على أقوال الجرجاني ومسلكه حين عدّ الحذف "شبيهًا بالسحر" للدلالة على قوته.[30]

ومع ذلك، يمكن تلمّس بعض الفروق في التأكيد والأسلوب بين الفرهاروي وأسلافه: فبينما ركّز الجرجاني – وفق منهجه النظري – على فلسفة الإيجاز وربطه بالنظم ومعنى المعنى، جاء طرح الفرهاروي أشبه ما يكون بدليل تطبيقي تعليمي موجه لطالب العلم؛ يذكر القاعدة البلاغية بإيجاز ثم يتبعها بالأمثلة القرآنية وشروحها المقتضبة. وهذا النهج التعليمي سمة

بارزة في كتابه، إذ أراد به المؤلف – على ما يظهر – تقريب علم البلاغة لدارسيه في عصره (وهو أوائل القرن 13 الهجري) عبر أمثلة الإعجاز القرآني. فكان كتابه ((نعم الوجيز)) بمثابة خلاصة وتركيز لكتب البلاغة المطوّلة، وربما أشار في مقدمته إلى أنه اختصره من كتابه الأكبر ((الياقوت)) وزاد فيه بعض الفرائد. وفي هذا السياق، فإن اعتماد الفرهاروي على السابقين لا يقلل من قيمته، بل يبرز دوره في استمرار حركة الشرح والتلخيص للتراث البلاغي عبر الأجيال.

ومن ناحية أخرى، تعكس مادة «نعم الوجيز» حضور ثقافة بلاغية مشرقية/هندية في مطلع القرن التاسع عشر، حيث كان العلماء هناك على صلة تامة بمنجزات البلاغة العربية الكلاسيكية. فمثلاً إشارات الفرهاروي إلى أقوال ابن قتيبة أو الجاحظ أو غيرهما – إن وُجدت – تدل على سعة اطّلاعه. والمقارنة هنا تظهر أن الإيجاز كفن بلاغي لم يطرأ عليه تغيّر جوهري بين عصر الجرجاني وعصر الفرهاروي، سوى في طرائق العرض ومستوى الاختصار. بل يمكن القول إن ثبات معايير الإيجاز عبر الزمن هو دليل على قوة التأصيل الذي قام به علماء البلاغة الأوائل؛ فالفرهاروي يستند إلى أركان نظرية صلبة بناها من سبقه، ويستثمرها في إثبات إعجاز القرآن بيانياً.

وخلاصة المقارنة: أكد الفرهاروي في نعم الوجيز ما أجمع عليه البلاغيون من أن الإيجاز سرّ البلاغة وميدان التنافس بين الفصحاء، وأن القرآن الكريم هو النموذج الأسمى لهذا الإيجاز المعجز. لم يخرج مفهومه أو تقسيمه عن إطار التراث، مما يجعل كتابه حلقة في سلسلة بلاغية ممتدة. وفي ذلك خدمة للتراث نفسه، إذ حفظ لنا خلاصة مبحث الإيجاز مرتبةً ومطبَّقةً على آيات القرآن، وممهِّدةً للأجيال اللاحقة كي تنطلق منها في تأملات حداثية أوسع.

القراءة الحداثية لمفهوم الإيجاز في ضوء تحليل الخطاب والاقتصاد النصي

على الرغم من أن مفهوم الإيجاز تراثي المنشأ، إلا أنه يلتقي في جوهره مع مفاهيم حديثة في علم اللغة وتحليل الخطاب. فقد أدرك البلاغيون مقولة "لكل مقامٍ مقال" والتي هي حجر الزاوية في تحليل الخطاب الحديث؛ فالمتكلم البليغ يكيف طول خطابه أو قصره بحسب حال المخاطَب والسياق. وهكذا يكون الإيجاز استجابة لمقتضيات المقام: يُختصر الكلام تقليلًا للجهد وطلبًا لتركيز المعنى حين يكون المستمع قادرًا على الاستيعاب دون شرح مطوّل. وهذا بالضبط ما تبحثه نظريات الاقتصاد اللغوي الحديثة التي ترى أن هناك ميلًا طبيعيًا في اللغات نحو توازن الجهد والفائدة في التواصل. يذكر عالم اللغويات Otto Jespersen (1924) أن التغيير اللغوي كثيرًا ما يرجع إلى نزعة الاقتصاد في التعبير، حيث "يجب أن تصاغ أشكال التعبير دون أن تحتوي على أكثر مما يحتاجه فهم المستمع". وهذه الفكرة تقارب بشدة مبدأ الإيجاز البلاغي: فكل لفظة زائدة عن حاجة الفهم تُعد حشوا يمكن الاستغناء عنه. ومن المثير أن قدماء البلاغيين تنبّهوا لظاهرة الاقتصاد هذه لكن تحت مسميات مختلفة، مثل: الاختصار والإضمار وخفة اللفظ... فجاء العلم الحديث ليؤطرها نظريًا ضمن مفهوم .Economy of Language وفي النص القرآني نجد هذه النزعة جليّة؛ إذ ندر أن تجد إطالة بلا داع، بل غالبًا ما يأتي التعبير مركزًا محكمًا لتحقيق غاية البيان بأقل تراكيب ممكنة.[31]

من جهة أخرى، تتقاطع القراءة الحداثية للإيجاز مع نظرية التلقّي (Reception Theory) في الأدب والنقد. هذه النظرية تعلي من دور القارئ/المستمع في بناء المعنى وتفاعل النص معه. وإذا تأملنا إيجاز القرآن – وخاصة إيجاز الحذف – وجدناه نصًا تفاعليًا بامتياز، يترك فراغات معيّنة ليملأها عقل المتلقي وخياله. وقد أشار الباحثون المعاصرون إلى جمالية هذا الأسلوب في القصص القرآني؛ فالدكتورة سعاد الناصر مثلًا ترى أن إيجاز القص القرآني "يحقق أكبر قدر ممكن من التأثير على المتلقي، فيجنح نحو المشاركة في تقدير ما حُذف وما أُوجز، والتوصل إلى عمق الدلالات والاقتناع بها، وكأنه

توصل إلى ذلك من تلقاء نفسه". هذا الكلام يصوّر بوضوح كيف يمنح الإيجازُ القارئَ سلطةً وتأثيرًا في استنطاق النص. فالمتلقي أمام النص الموجز يشعر وكأنه شريك في استكمال البناء الدلالي، مما يعزز تفاعله الوجداني والعقلي مع القرآن. وهذا أحد أسرار الإعجاز البياني: فالإيجاز القرآني ليس مجرد حُسن تعبير فحسب، بل هو أداة لإشراك العقول واستنفار القرائح كي تستنبط وتهتدي وتتذوّق الجماليات الخفية بين الكلمات القليلة.

أما من منظور تحليل الخطاب الحديث، فيمكن فهم الإيجاز بوصفه استراتيجية لتحقيق تماسك النص وترابطه دون إسهاب. فالقرائن المقامية واللغوية في القرآن تعمل بتناغم لتدل على المحذوف وتسد مسدّه، محققة ما يُعرف في علم النص بـ"الحبك Cohesion". ومن مظاهر ذلك اعتماد القرآن على الضمائر والإضمار بكثافة – وهو شكل من الإيجاز – مما يتوافق مع مبدأ عدم تكرار المعلومات المتاحة لدى المخاطَب .(principle of given/new information) فكلما كان السياق معلومًا اختصر القرآن في عبارته. وإذا نظرنا إلى الإيجاز من زاوية الدلالة المفتوحة (polysemy) في النقد الحديث، نجد أن قصر العبارة يفتح مجالًا لتأويلات متعددة، فيخاطب شرائح مختلفة من المتلقين على مر العصور. هذه الوفرة في الدلالة رغم القصر هي ما يجعل النص القرآني "حمّال أوجه" دون تعارض أو تضاد، بل بتكامل وثراء. وهذا يتسق مع فكرة اقتصاد النص الذي يستثير معاني كبيرة بتكلفة لفظية صغيرة.[32]

باختصار، يظهر لنا أن مفاهيم الإيجاز التي أصلها الفرهاروي وغيره من البلاغيين تتناغم بدرجة مدهشة مع أدوات التحليل اللغوي والنقدي المعاصرة. فالمصطلحات تختلف لكن الجوهر واحد :جعل الكلام أكثر فاعلية بأقل حجم ممكن .وقد يكون من المفيد للدارسين المعاصرين إعادة قراءة تراث البلاغة – كطرح الفرهاروي – بوصفه يحتوي على بذور نظريات حديثة مغلفة بثوب قديم. فمثلاً، حديث البلاغيين عن سهولة الحفظ وقوة التأثير في الإيجاز يوازي تمامًا مباحث علم النفس اللغوي حول عبء الذاكرة العاملة وفهم الجُمل القصيرة أسرع من الطويلة. كما أن تشديدهم على "إشباع المعنى" يلتقي مع مبدأ الكفاية النصية في علم التواصل. ومن زاوية نقدية جمالية، يمنح الإيجاز النص أدبيةً عالية عبر التكثيف، وهو ما يقدّره النقد الحداثي في الشعر والنصوص الرفيعة.[33]

إن وصل الماضي بالحاضر في دراسة الإيجاز يمنحنا فهمًا أعمق: فالإيجاز ليس مجرد تزويق بلاغي محدود بزمانه، وإنما هو مبدأ إنساني عام في التواصل الفعال القرآن الكريم قدم النموذج الأرقى لهذا المبدأ، فكان موجزًا حين يقتضي المقام الإيجاز، ومفصلًا حين يستدعي الحال البسط؛ فجاء خطابه معجزًا بتوازنه وتمام حكمته.

الخاتمة والنتائج

خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي تبرز أهمية الإيجاز بوصفه ظاهرة بلاغية وخصيصة إعجازية في القرآن الكريم، كما تجلّت في طرح عبد العزيز الفرهاروي في كتابه «نعم الوجيز:»

- **أولًا:** أكّد الفرهاروي تقسيم الإيجاز إلى إيجاز قصر وحذف على نحو ما اصطلح عليه البلاغيون، معتمدًا التعريفات التراثية الحاسمة. فإيجاز القصر عنده هو الكلام الوجيز ذو المعاني الغزيرة بلا حذف، وإيجاز الحذف هو حذف ما يفهم ضمنًا من الكلام دون تأثير على دلالته. وقد استشهد على كل منهما بأمثلة قرآنية موفقة، مما برهن على حضور الإيجاز بنوعيه في أسلوب القرآن الكريم كعنصر تحدٍ وإعجاز.
- **ثانيًا:** أظهر التحليل أن الفرهاروي في تناوله للإيجاز كان امتدادًا أمينًا لجهود البلاغيين قبله. فقد انعكست آراء الجرجاني والسكاكي وابن الأثير في ثنايا شرحه، سواء في تعظيم شأن الإيجاز أو في شرح أمثلته. هذا يدل على

رسوخ مفهوم الإيجاز في البلاغة العربية كثابت من ثوابت البيان، وانتقاله جيلاً بعد جيل دون تغيّر في المضمون. وفي الوقت نفسه، وفّر نعم الوجيز صياغة موجزة وعملية لتلك المبادئ، مما سهّل تلقّيها في البيئة العلمية التي نشأ فيها المؤلف (شبه القارة الهندية).

- **ثالثًا:** تبيّن من خلال أمثلة القرآن أن للإيجاز وظائف بيانية مؤثرة :فهو يختزل المعاني لتيسير الفهم وتثبيت الرسوخ في الذهن (كما في الحكم والمواعظ القصيرة)، ويستثير الخيال والتفكير (خصوصًا عبر الحذف في القصص والحوار) بحيث يُشرِك المخاطَب في استكمال المشهد أو الفكرة. وقد لمست الدراسة جانبًا إعجازيًا هنا، إذ يجمع الإيجاز بين جمال الفن وسمو الحكمة :فالنص الموجز جميل في أدائه، عظيم في مدلوله، قوي في وقعه على النفس.
- **رابعًا:** من خلال المقارنة بالمناهج الحديثة، اتضح أن مفهوم الإيجاز القرآني الذي عرضه الفراهاروي يلتقي مع نظريات لغوية ونقدية معاصرة .فتحليل الخطاب أكد مبدأ مراعاة المقام في تطويل الخطاب أو إيجازه، وهو ما وعاه البلاغيون بقولهم الإيجاز والإطناب بحسب مقتضى الحال .ونظرية الاقتصاد اللغوي أوضحت وجود ميل لتجنب الحشو والتنميق الزائد، وهو عين ما يقوم عليه الإيجاز من حذف الزوائد. أما نظرية التلقي، فقد تجلت بوضوح في أثر الإيجاز على مشاركة القارئ في صنع المعنى. هذه التقاطعات تثبت أن دراسة الإيجاز ليست مجرد استرجاع للماضي، بل هي مجال حيٌّ يمكن تطويره واستثماره في فهم النصوص وفي صياغة خطاب معاصر بليغ وفعّال.
- **خامسًا:** توصّلت الدراسة إلى أن كتاب ((نعم الوجيز)) نفسه يصلح أن يكون جسرًا بين التراث والحداثة في البلاغة. فعلى الرغم من لغته التراثية ومضمونه المستمد من كتب البلاغة القديمة، إلا أنه أثار أسئلة وقضايا تهمّ الباحث المعاصر: كيف نجعل كلامنا موجزًا قويًا؟ كيف نخاطب الجماهير بلغة مركزة مؤثرة؟ وكيف نفهم القرآن اليوم من زاوية التركيز والاقتصاد اللغوي؟ إن الإجابات عن هذه الأسئلة تجد أصولها ماثلة فيما قدّمه الفراهاروي وبلاغيو التراث، وتكتسب أبعادًا جديدة عند إعادة قراءتها بضوء المناهج الحديثة.

وفي الختام، يوصي الباحث بمواصلة العناية بمباحث الإعجاز البلاغي في القرآن – كالإيجاز والإطناب – عبر دراستها بأدوات العصر، والإفادة من كنوز التراث البلاغي بإعادة تقديمها بلغة ومفاهيم معاصرة. فالإيجاز الذي مجّده عبد العزيز الفرهاروي قبل قرنين ما زال قيمة بلاغية واتصالية مهمة في عصرنا الذي يتسم بسرعة التواصل وكثافة المعلومات. وإن فهمنا العميق لهذا الفن القرآني يمنحنا رؤىً ثاقبة في كيفية صياغة خطاب دينّي وثقافي معاصر يجمع بين قوة التأثير وجمال التعبير وصدق المقصد – وذلك هو جوهر البلاغة التي "قلّ لفظها وجلّ معناها".

المصادر والمراجع:

1 السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن عبد المؤمن. مفتاح العلوم. تحقيق: نعيم زرزور. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ج 1، ص 59؛ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن. تحقيق: السيد أحمد صقر. القاهرة: دار المعارف، 1954م، ص 12؛ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. بيروت: دار الكتب العلمية، 2012م، ج 1، ص 75.

al-Sakkākī, Abū Yaʿqūb Yūsuf b. Abī Bakr Muḥammad b. ʿAbd al-Muʾmin. Miftāḥ al-ʿUlūm. Taḥqīq: Naʿīm Zarzūr. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 1987, j 1, p. 59.

Ibn Qutayba, ʿAbd Allāh b. Muslim. Taʾwīl Mushkil al-Qurʾān. Taḥqīq: al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr. al-Qāhira: Dār al-Maʿārif, 1954, p. 12.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir b. ʿAbd al-Raḥmān. Dalāʾil al-Iʿjāz. Taḥqīq: Maḥmūd Shākir. Bayrūt: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, 2012, j 1, p. 75.

[2] القرآن ٢:١٧٩

al-Qurʾān 2 : 179

[3] القرآن ٦:٨٢

al-Qurʾān 6 : 82

[4] القرآن ١٢:١٠٠

al-Qurʾān 12 : 100

[5] القرآن ١٨:٣٨

al-Qurʾān 18 : 38

[6] القرآن ٥:٦

al-Qurʾān 5 : 6

[7] الفرهاروي، عبد العزيز(ت: ١٢٣٩ه)، نعم الوجيز في إعجاز القرآن العزيز .تحقيق: محمد عبد الله شارق. ملتان: مركز إحياء التراث، ٢٠١٧م، ص ١٠٩

al-Firhārawī, ʿAbd al-ʿAzīz (d. 1239 AH). Niʿm al-Wajīz fī Iʿjāz al-Qurʾān al-ʿAzīz. Taḥqīq: Muḥammad ʿAbd Allāh Shāriq. Multān: Markaz Iḥyāʾ al-Turāth, 2017, p. 109.

[8] القرآن ١٦:٨١

al-Qurʾān 16 : 81

[9] القرآن ٦:١٣

al-Qurʾān 6 : 13

[10] القرآن ٣:٢٦

al-Qurʾān 3 : 26

[11] الفرهاروي، نعم الوجيز، ص ١١٠

al-Farhārawī, Niʿm al-Wajīz, p. 110.

[12] القرآن ٢:١٧١

al-Qurʾān 2 : 171

[13] القرآن ٩:١٠٢

al-Qurʾān 9 : 102

[14] الفرهاروي، نعم الوجيز، ص ١١٢

al-Farhārawī, Niʿm al-Wajīz, p. 112.

[15] القرآن ٨٩:٢٢

al-Qurʾān 89 : 22

[16] القرآن ٢٠:٩٦

al-Qurʾān 20 : 96

[17] القرآن ٥٣:٩

al-Qurʾān 53 : 9

[18] الفرهاروي، نعم الوجيز، ص ١١٣ – ١١٥

al-Farhārawī, Niʿm al-Wajīz, pp. 113 – 115.

[19] القرآن ١٩:٢٠

al-Qurʾān 19 : 20

[20] القرآن ٢٢:٧٨

al-Qurʾān 22 : 78

[21] القرآن ٧:١٤٢

al-Qurʾān 7 : 142

[22]القرآن ٣:٣١

al-Qurʾān 3 : 31

[23]القرآن ٦:٢٧

al-Qurʾān 6 : 27

[24]القرآن ٢:٢١٣

al-Qurʾān 2 : 213

[25] القرآن ١٢:٤٥–٤٦

al-Qurʾān 12 : 45 – 46

[26] القرآن ١٢:٨٢

al-Qurʾān 12 : 82

[27] القرآن ٢٩:٧٨

al-Qurʾān 78 : 29

[28] القرآن ٤٦:١٢

al-Qurʾān 12 : 46

[29] القرآن ٢:١٧٩

al-Qurʾān 2 : 179

[30] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج 1، ص 85؛ السكاكي، مفتاح العلوم، ج 1، ص 61؛ ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد .المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963م، ج 1، ص 112

al-Jurjānī, Dalāʾil al-Iʿjāz, j 1, p. 85; al-Sakkākī, Miftāḥ al-ʿUlūm, j 1, p. 61; Ibn al-Athīr, Ḍiyāʾ al-Dīn Muḥammad b. Muḥammad. al-Mathal al-Sāʾir fī Adab al-Kātib wa-l-Shāʿir. Taḥqīq: Aḥmad al-Ḥūfī & Badawī Ṭabāna. al-Qāhira: Maktabat al-Nahḍa al-Miṣriyya, 1963, j 1, p. 112.

[31] يسبرسن، أوتو، Language: Its Nature, Development and Origin، لندن: ألن آند أونوين، 1924م، ص 23.

Jespersen, Otto. Language: Its Nature, Development and Origin. London: Allen & Unwin, 1924, p. 23.

[32] يسبرسن، أوتو، Language: Its Nature, Development and Origin، لندن: ألن آند أونوين، 1924م، ص 23

Jespersen, Otto. Language: Its Nature, Development and Origin. London: Allen & Unwin, 1924, p. 23.

[33] كلارك، هربرت، وسوزان هافيلاند، «القديم والجديد في بنية الجملة»، في Psychology of Learning and Motivation، تحرير: غوردون باور، نيويورك: أكادمِك برس، 1977م، ص 341–343؛ سبربر، دان، وديردري ويلسون، نظرية الصلة: الاتصال والإدراك، أكسفورد: بلاكويل، 1986م، ص 68؛ بادلي، ألان، الذاكرة العاملة، أكسفورد: مطبعة جامعة أكسفورد، 1992م، ص 45؛ الناصر، سعاد، بلاغة القصص في القرآن الكريم وآفاق التلقّي، الدوحة: وزارة الأوقاف – كتاب الأمة، 2019م، ص 34.

Halliday, Michael A. K., and Ruqaiya Hasan. Cohesion in English. London: Longman, 1976, p. 13.

Clark, Herbert, and Susan Haviland. “Old and New Information in Sentence Comprehension.” In Psychology of Learning and Motivation, ed. Gordon Bower, 341 – 378. New York: Academic Press, 1977, pp. 341 – 343.

Sperber, Dan, and Deirdre Wilson. Relevance: Communication and Cognition. Oxford: Blackwell, 1986, p. 68.

Baddeley, Alan. Working Memory. Oxford: Oxford University Press, 1992, p. 45.

al-Nāṣir, Suʿād. Balāghat al-Qaṣaṣ fī al-Qurʾān al-Karīm wa-Āfāq al-Talaqqī. Doha: Wizārat al-Awqāf (Qaṭar) – Kitāb al-Umma, 2019, p. 34.